جامعة مولود معمري–تيزي وزو

مخبر الممارسات اللغوية

مجلة

الممارسات اللغوية

العدد الخامس (05)

2011

التداوليّة في المعاجم العربيّة
قراءة في معجم"المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب" لنعمان بوقرة

فرحات بلولي
المركز الجامعي بالبويرة

مقدمة: انشطرت اللسانيات في النصف الثاني من القرن الماضي إلى أجزاء كثيرة، وظهرت على إثر ذلك العديد من التخصصات اللغويّة التي تمتُ كلّها بصلة إلى هذا العلم الأول، ومن بين هذه التخصصات ما يسمى بالمقاربة التداوليّة التي بدأت مكانتها في الارتقاء شيئا فشيئا في العالم العربيّ، وتوالى تبعا لذلك ظهور البحوث والمعاجم من هنا وهناك، ومن بينها المعجم الذي بين أيدينا الموسوم: بـ"المصطلحات الأساسيّة في لسانيات النص وتحليل الخطاب" لصاحبه نعمان بوقرة، وبما أن انتقال الأفكار والمفاهيم من حضارة إلى أخرى يؤدي أحيانا إلى ضياع بعض حيثياتها، وباعتبار العمل المعجميّ مؤسسة حارسة ورقيبة على تفادي مثل هذه المشاكل، ارتأينا أن نبحث في انتقال مفهوم التداوليّة من الغرب إلى المنطقة العربيّة من خلال هذا المعجم الذي ذكرناه؛ أي أنّنا سنركز على دراسة الجانب الدلاليّ في طرحنا، مع التقاطع في بعض الأحيان مع الجانب المعجميّ الذي يفرضه طابع المدوّنة، فهل استوعب المعجم الذي نوَّد دراسته مفهوم التداوليّة كلّه؟ أو بالأحرى: ما هي الأمور التي تحسب له، وما هي تلك التي تحسب عليه؟

1: تقديم محتويات المعجم: يقع معجم المصطلحات الأساسيّة (في لسانيات النص وتحليل الخطاب) في (مائة وتسع وسبعين 179) صفحة، ولقد اعتمدنا على

الطبعة الأولى منه الصادرة عن دار الكتاب الحديث وجدارا للكتاب في سنة 2009م، ويتكون هذا العمل من أربعة أجزاء بغض النظر عن الإهداء وفهرس المحتويات، وسنحاول أن نقدم فيما يلي ما ورد فيه من أجزاء.

1.1: المقدمة: تُعد المقدمة أهم مفتاح من مفاتيح المعاجم، فيها تُذكر عادة دواعي وضع المعجم وطرق ذلك، إضافة إلى الغاية المتوخاة منه، والمراجع المعتمد عليها في انجازه، والإضافة التي يمثلها ذلك العمل، وفي هذا الصدد، تقع مقدمة هذا المعجم في (ست 06) صفحات، نستخلص منها أنّ ممارسة المؤلف لمهنة التدريس في الجامعة ومشاركته في المحافل العلميّة ذات الصلة بلسانيات النص وتحليل الخطاب هي التي لفتت انتباهه إلى النقص الملحوظ في المراجع الميسرة لهذا التخصص في العالم العربي، مما جعله يصنف هذا المعجم.

أما عن أهدافه وغاياته، فيرى نعمان بوقرة أنّ هذا مقترن أساسا بالمتلقي الذي يستهدفه ألا وهو طلبة معاهد اللغة العربيّة وآدابها في العالم العربيّ، لذلك كان لابد من الاهتمام بشرح المصطلحات بشكل يمكن معه أن تقترب إلى أذهان الطلبة، فيقول:"... وفي هذا السياق يتنزل هذا المدخل المعجمي الذي يسعى إلى تقديم مادة لسانية نصية أساسية بأسلوب علمي بسيط ينسجم مع طبيعة المتلقي... وهذا المعجم على صغر حجمه وسيلة إجرائية مفيدة –في نظرنا- للطالب ليمكنه من معالجة أشهر المصطلحات وأكثرها تداولا في المؤلفات العربية بوجه الخصوص"[1] فيُستقى من هذه المقدمة أنّ أهداف المؤلف ليست جمع كلّ مصطلحات الميدان لأنّ ذلك ليس باليسير على باحث واحد - في رأيه- ، إنّما سيتجه جهده نحو جمع المصطلحات الأساسيّة، وعرضها بشروح بسيطة على القرَّاء.

أما من حيث المراجع والمصادر، فنجد أنّ المؤلف قد اعتمد على المراجع العربيّة بكثرة، ويَرُد هذا الأمر إلى اهتمام عمله بالبحث في تلقي العرب لمفاهيم لسانيات النص وتحليل الخطاب، فيقول: "إن منطلقنا الأول في الاستقصاء

المراجع العربية واستعمال المصطلح في النقد النصي اللساني العربيين..." [2] كما يشير إلى أنّه استعمل بعض المراجع باللغة الفرنسيّة والانجليزيّة لكن بشكل عرضيّ واستئناسيّ فقط.

وفي آخر هذه المقدمة يقدم لنا صاحب المعجم الأركان الأساسيّة التي بني عليها عمله، فذكر لنا (ثلاث 03) ركائز هي: الاهتمام بالمدخل التعريفيّ ثم دراسة وتحليل المصطلح وأخيرا تقديم معجم عربيّ/انجليزيّ.

2.1: المدخل التعريفيّ: يقع هذا المدخل التعريفيّ في (اثني وسبعين 72) صفحة وخصص ما يقارب ثلثها للمراجع والهوامش، ولقد تطرق فيه إلى أهم المفاهيم ذات العلاقة بلسانيات النص، كما أشار إلى تأثيرها على الدراسات العربيّة.

فبدأ حديثه بالتأكيد على أنّ لسانيات النص من أحدث المقاربات، وهي تطور منطقيّ عن اللسانيات خاصة منها التوليديّة التحويليّة التي عدّها صاحب المعجم آخر مرحلة قبل التحول إلى لسانيات النص، كما أشار إلى أنّها تحاول أن تتعامل مع اللغة كما هي في الواقع، ثم تحدث عن استعصاء مفهوم "النص" عند العلماء منذ القديم، وفي التفاتة إلى المنطقة العربيّة، عرّفنا المؤلف بجهود العرب في تطبيق هذا النوع من الدراسة، فخرج بنتيجة أنّ أهم هذه التجارب هي تجربة الباحثيْن محمد خطابي في كتابه (لسانيات النص "مدخل إلى انسجام النص)" وسعد مصلوح من خلال كتابه "نحو أجرومية للنص الشعري" كما ذكر بعض التجارب الأخرى.

وحاول صاحب المعجم في نقطة أخيرة من هذا المدخل التعريفيّ أن يحصر لنا أهم القضايا أو الإشكاليات التي تطرحها لسانيات النص، وأبرز الحلول التي تقترحها، وهي محاولة في الوقت نفسه لتقديم بعض المفاهيم اللسانيّة النصيّة واللسانيات بشكل عام والتداوليّة وغيرها من الفروع اللغويّة... فتحدث عن مفهوم النص ووظيفة اللسانيات والكفايّة النصيّة...

3.1: متن المعجم وأدواته المنهجيّة الأخرى*: يقع متن المعجم في (سبعين 70) صفحة، ويحتوي على (مائة وثمانية وسبعين 178) مصطلحا، وهو مرتب ترتيبا ألفبائيا، يذكر في البداية المداخل باللغة العربيّة فقط* ثم تليها تعاريف مختلفة العمق اختلافا جوهريا، فتجد بعض المصطلحات معرفة بسطرين♦ كمصطلحات "ذاكرة عرضية" أو "بؤرة" وهو تعريف منطقي قاصر[3]، وفي الجهة المقابلة، نجد تعاريف موسوعيّة تصل إلى (سبع 07) صفحات مثل تعريف مصطلح "الحقول الدلاليّة".

1.3.1: المسرد العربيّ/ الانجليزيّ: ذُيِّل هذا المعجم بمسرد عربيّ/ انجليزيّ، عرض فيه صاحب العمل - في جدول من (سبع 07) صفحات- المصطلحات الواردة في المتن ومقابلاتها باللغة الانجليزيّة.

2.3.1: مراجع المعجم: ذكر المؤلف في (ثلاث 03) صفحات المراجع التي اعتمد عليها في وضع معجمه، فكانت (أحد عشر 11) مرجعا باللغة العربيّة ومرجعين باللغة الفرنسيّة، ومرجعين آخرين باللغة الانجليزيّة، وإذا أمعنا النظر في المراجع التي استعملها المؤلف نجد أنّه قد اعتمد على (أربعة 04) معاجم على الأقل هي على التوالي: "معجم اللسانيات الحديثة" لسامي عياد حنا وآخرين ومعجم "أعلام الفكر الفلسفي المعاصر" لفؤاد كامل، ومعجم "المصطلحات الأدبية الحديثة" لمحمد عناني، و"معجم علم اللغة النظري" لمحمد علي الخولي أما المراجع باللغات الأجنبية فقليلة جدا* وهذا ما صرح به المؤلِف في مقدمته.

3.3.1: ملحق بتراجم لأشهر اللسانيين في ميدان علم النص: ختم صاحب العمل معجمه بهذا الملحق، وهو شيء محمود مفيد يقع في (أحدى عشرة 11) صفحة، قدم فيه عددا من معتبرا السير والتراجم للكثير من رجال اللسانيات أمثال تودوروف وقريماس كريستيفا باختين... الملاحظ أنّه قدم حيزا مهما للبنيويين أمثال دو سوسير ويلمسليف...

2: مفهوم التداوليّة: عرفت الدراسات اللسانيّة تطورا سريعا وكبيرا في العصر الحديث، فظهرت منذ استقرار المفاهيم السوسيريّة في الدرس اللغويّ إلى يومنا هذا الكثير من المدارس والتيارات اللغويّة التي تساند وتعارض أو تعيد النظر فيما قاله سوسير، مثل اللسانيات الاجتماعيّة، وتعليميّة اللغات، وعلم المصطلح، وتحليل الخطاب... وغني عن البيان أنّ هذه التيارات تختلف في بعض الأطروحات، ويصل بها الأمر أحيانا إلى حد الاختلاف الجوهريّ، وفي هذا المناخ تطور ما يسمى بالمقاربة التداوليّة، فما هو معناها؟

1.2: تعريف المقاربة التداوليّة: لاشك أنّ الإجابة عن هذا السؤال صعب للغاية في الدراسات الحديثة لما يطرحه من إشكالات منهجيّة، كصعوبة حصر كلّ جزئيات المفهوم المراد تحديده، خاصة في حالة المفاهيم الجديدة كالتداوليّة التي لم يستقر مفهومها إلى يومنا هذا، ولهذا سنحاول أن نقدم بعض التعاريف التي تُقدم فكرة عن المفهوم.

يرى (شارل موريس- **Charles W. Morris**):"...إن اللسانيات التداولية هي العلم الذي يعالج العلاقة بين الأدلة ومؤوليها"[4] ونستنتج من خلال هذا التعريف أنّ التداولية إنّما هي علم يدرس الأدلة، ويبدو على هذا المستوى أنّ الجانب اللغويّ البحت لم تتجاوزه التداوليّة، ونعني بالجانب اللغويّ كلّ ما تتضمنه اللغة من عناصر انطلاقا من المستوى الصوتيّ إلى مستوى الكلمة والجملة باعتبار البنيويّة قد وصلت إلى هذا الحد من التحليل، إضافة إلى الاهتمام بالجانب اللغويّ نفهم من تعريف موريس أنّ أية دراسة تداوليّة لابد أن تهتم بالمتلقي الذي يعد جزءا من السياق، فيشير هذا التعريف خاصة إلى المؤولين أي المستمعين، وهؤلاء لا يقعون إلا في حالات وظروف معينة، مما يتطلب تحكما في عناصر أخرى ليست بالضرورة عناصر لغويّة لفهم الأدلة اللغويّة التي تحدثنا عنها.

أما (ت.أ. فان دايك- T.A. Van Djik) فيعد التداوليّة:" تخصصا يتناول اللغة بوصفها ظاهرة خطابيّة وتبليغيّة واجتماعيّة في نفس الوقت"[5] وغني عن البيان أنّ هذا التعريف أوسع بكثير من تعريف شارل موريس لأنّه يعطي التداوليّة ثلاثة أبعاد كلّ منها يفتح أبوابا على مصارعيها على تخصصات عدة، ويحيل إلى علوم عدة كتحليل الخطاب واللسانيات الاجتماعيّة... وهذا هو المعنى الفعليّ للتداوليّة التي لقبت بمرقعة الدراويش لأخذها من كلّ علم بطرف.

2.2: بعض الأصول المعرفيّة للمقاربة التداوليّة في الدراسات اللغويّة:

تعددت الأصول المعرفيّة التي استلهمت منها التداوليّة مبادئها من المدرسة الفلسفيّة التحليليّة إلى الذرائعيّة الأمريكيّة، كلّ حسب إسهامه في تحريك عجلة الفلسفة من جهة وفلسفة اللغة من جهة أخرى، وسنقدم ههنا بعض الجهود ملخصة في رأي (ج. ل. أوستين- J.L. Austin) وتلميذه (ر. سورل- R. Searle):

1.2.2: تصور ج. ل. أوستين: ينطلق أوستين في إطار الفلسفة التحليليّة التي تبناها في تحليله للغة من رفض المنطق السائد في زمانه والذي يرى أنّ كلّ الأقوال تخضع لقاعدة الصدق والكذب، فيعتقد أنّ في اللغة من الأقوال ما لا يخضع لهذه القاعدة مثل قولنا:

أتمنى لكم سفرا ممتعا.

فيرى أوستين أنّ القول في هذا المثال لا يخضع لقاعدة الصدق والكذب إنّما هو قول قابل للتحقق أو غير قابل للتحقق، وانطلاقا من مثل هذه الملاحظة حلل أوستين طائفة من أمثال هذه الأقوال، فخرج بنتيجة مفادها أنّ بعض الأقوال ليست مجرد وصف لأحوال أو تقريرا عن وضعية، بل قد يصاحبها عمل، فتجمع بين مجرد القول والعمل به في الوقت نفسه، ففي المثال السابق، هناك القول ولكن في الوقت نفسه حصل العمل مع التلفظ بالقول، وبناء على ذلك ميز أوستين بين نوعين من الأفعال الكلاميّة: الأولى هي الأفعال التقريريّة (Acte constatif)، أما الثانية فهي الأفعال الإنشائيّة(Acte performatif).

كما ميز في تحليله للأفعال الكلاميّة بين ثلاثة أنواع من الأفعال هي:

فعل القول(Acte locutif) هو مجرد التلفظ بالخطاب.

الفعل الإنشائي(Acte performatif) أي القصد.

الفعل التأثيري(Acte perlocutif) أي رد الفعل المنتظر.

2.2.2: تصور ج رسورل: يُعد سورل أحد مطوري أفكار أستاذه أوستين حيث كرس الكثير من أعماله للتمييز بين ما يسميه الأفعال الكلاميّة المباشرة والأفعال الكلاميّة غير المباشرة.

1.1.2.2: الفعل الكلاميّ المباشر: هو ذلك الفعل الكلاميّ الذي يتطابق فيه فعل القول بمفهوم أوستين وفعل الإنشاء، ويحدث وفق نظرة سورل بأربعة أفعال متزامنة هي:

فعل القول(Acte d'énonciation).

فعل الإسناد(Acte propositionnel).

فعل الإنشاء(Acte performatif).

فعل التأثير(Acte perlocutif).

2.1.2.2: الفعل الكلاميّ غير المباشر: إذا كان الفعل المباشر تطابقا بين فعل القول وفعل الإنشاء، فإنّ الفعل غير المباشر يتطلب من المستمع/المتلقي الانتقال من المعنى المباشر للقول إلى المعنى الذي يقصده المتكلم، فالقصديّة في هذه الحالة مضمرة وليست صريحة وهو ما يقتضي من المستمع أن يبذل جهودا في تحليل السياق لفهم قصد المتكلم، وهذا المبحث كان له شأن كبير في الدراسات اللغويّة والبلاغيّة القديمة تحت مسميات المجاز والاستعارة والكناية...

3.2: بعض المفاهيم الأساسيّة في المقاربة التداوليّة: كلّ مدرسة أو تيار في العلوم الإنسانيّة واللغويّة له مصطلحاته ومفاهيمه التي تُعد وسائله المنهجيّة في مقاربة موضوع الدراسة، وللمقاربة التداوليّة العديد من المفاهيم مثل "أفعال الكلام" التي تحدثنا عنها و"الافتراض المسبق"، "المبهمات"، "التلفظ"...

وسنتطرق فيما يلي إلى مصطلحين جوهريين من هذه المصطلحات هما "قوانين الخطاب" و"السياق"*.

1.3.2: قوانين الخطاب: يرى بعض اللغويين المنضوين تحت لواء المقاربة التداوليّة أنّ عملية التواصل إنّما تتم بين المتكلمين لوجود العديد من الاتفاقات الضمنيّة وغير المصرح بها، وما أن يتخلى أحد المتكلمين على أحد هذه الاتفاقات إلا وتنقطع عملية التواصل، وقد درجت التقاليد على تسمية هذه الاتفاقات ب"قوانين الخطاب".

أما فيما يخص "قائمة قوانين الخطاب والعلاقات التي تجمع بينها فهي مختلفة من لغوي إلى آخر"[6] ولكنه هناك نوع من الاتفاق على أغلب القوانين وأشهرها، وفي هذا الإطار، يرى (هربرت بول غرايس- **Herbert Paul Grice**) أنّ مفهوم التعاون[7] وراء تحسين عملية التواصل بل يمثل أهم سبب في قيامها بين المتكلمين، كما يعتقد أنّ هذا المفهوم مبني على أربعة حكم هي:

-**حكمة الكم:** يجب أن تقدم القدر الكافي من المعلومات أثناء الحديث، فأيّة إضافة قد تكون مخلة بمبدأ التعاون.

-**حكمة الكيف:** يجب انتقاء المعلومات المفيدة للموضوع؛ أي التي تضيف شيئا.

-**حكمة العلاقة:** يجب أن تقدم معلومات ذات علاقة بالموضوع.

-**حكمة حكم الكلام (modalité):** يجب أن يكون خطابك واضحا وأفكارك متسلسلة.

2.3.2: السياق: يُعد مفهوم السياق من أهم المفاهيم المركزيّة التي تمعنت التداوليّة في شرحه واستعماله كأداة منهجيّة للتحليل، بل يمكن القول إنّ أهم أعمال التداوليين تصب في فهم هذا الجانب من اللغة، خاصة، وأنّ البنيويون قد أقصوا هذا المكون من التحليل اللغويّ كلية.

وقد درجت الأدبيات اللسانيّة في مجال التداوليّة على استعمال مفهوم السياق (contexte)[8]، أحيانا، بمعنى كلّ الوحدات اللغويّة المحيطة بالوحدة المدروسة أي الوحدات السابقة واللاحقة لها، وبهذا المنظور لا ترى من السياق إلا ما هو لغويّ أو موجود داخل اللغة، وهناك من يستعمل مصطلح (النص المرافق- cotexte) للدلالة على هذا المفهوم.

كما يتقاطع مصطلح السياق، في أحيان أخرى، مع مصطلح آخر هو الوضعيّة الخطابيّة(situation)*والتي تعني كلّ الظروف والعوامل المؤثرة في استعمال المتكلمين للغة، وغني عن البيان أنّ العوامل المقصودة هي تلك الخارجة عن بنية اللغة أو بالأحرى عوامل غير لغويّة؛ منها ما هو اجتماعيّ ومنها ما هو نفسيّ... ويصبح معها السياق أوسع مفهوما من النص وحيثياته.

3: تصور مفهوم التداوليّة في المعجم: سنحاول في هذه النقطة أن نناقش تصور المعجم وصاحبه لمفهوم التداوليّة، وذلك وفق الخلفية التي طرحناها في الأجزاء السابقة من البحث.

1.3: التصور العام لمفهوم التداوليّة في المعجم: نقصد بمصطلح التصور العام ههنا تلك النظرة الكليّة للمعجم إلى مفهوم التداوليّة من حيث هي مفهوم حيث سنتحدث أساسا عن عدد المداخل المخصصة لها. وتبعا لذلك، نجد أنّ صاحب هذا العمل المعجميّ قد خصص (ثلاثة 03) مداخل أساسية* لمفهوم التداوليّة هي على التوالي:

1- "براغماتية" وهو المدخل الوارد في حرف الباء، وموزع على الصفحتين 93- 94، وهو في حدود أربعة أسطر من الحجم العادي للورقة (أ4).

2- "تداولية" هو المدخل الوارد في حرف التاء، والموزع بين صفحتي 97- 98، وهذا المدخل هو الأطول من حيث التعريف بين المداخل الثلاثة حيث يقع في حدود الصفحة في الورق العادي المذكور.

3- "ذرائعية" هو المدخل الوارد في حرف الذال، والموزع على صفحتين 115- 116 وهو كتعريف "براغماتية" من حيث الحجم.

ومن هذا المنطلق، يمكن أن نتساءل: هل هناك فعلا (ثلاثة 03) مفاهيم♣ مختلفة أو على الأقل واضحة الحدود داخل المفهوم العام المسمي "تداوليّة"؟ أو ما هي العلاقة بين المفاهيم الثلاثة المذكورة؟ وهل لهذا التقسيم شرعية معينة؟

بعد الاطلاع على معاني المصطلحات كما يقدمها صاحب المعجم♦، يبدو لنا أنّه من المرجح أنّ "براغماتيّة" و"تداوليّة" ليسا إلا مفهوما واحدا، أما "ذرائعية" فهو مفهوم آخر مستقل عن "التداوليّة"/ "البراغماتيّة" وإن كان مرتبطا بهما من حيث الحقل الدلاليّ الضيق، أما أسباب طرحنا هذا فهي كالتالي:

1- نلاحظ استعمال صاحب المعجم نفسه لمصطلح "براغماتيّة" في ثنايا تعريف مصطلح "تداوليّة" بشكل يُفهم معه أنّ المصطلحين مترادفان، لاحظ بالمناسبة قوله "... لم تظهر البراغماتية...".

2- للتأكد من الفرضيّة التي وضعناها حاولنا العودة إلى مسرد المصطلحات للتعرف على المصطلحات الأجنبية المرادفة للمصطلحات الثلاثة المقترحة من قبل المعجم، فإذ بنا نجد أن مصطلح "التداوليّة" قد قابله ب(pragmatics) كما قابل مصطلح "ذرائعيّة" ب(pragmatism)*، أما مصطلح "برغماتيّة"، فلم نجد له أثرا في المسرد لا كمرادف ل"تداوليّة" ولا كمصطلح مستقل مما يؤكد طرحنا♠.

3- إن القراءة العامة لتعريف المصطلحين "براغماتيّة" و"تداوليّة" ومقابلتهما بما سبق أن عرضناه من أفكار، يفضي بنا إلى القول إنّ المدخلين ما هما في الحقيقة إلا مفهوم واحد حيث تحدث في "براغماتيّة" عن أوستين وأفعال الكلام وقوانين الخطاب♦ بالإضافة إلى تعريف مختصر، أما في مصطلح "تداوليّة"، فعرّف المصطلح وعرض لتاريخ نشأته واهتمامات "التداوليّة" خاصة عند بيرس.

من خلال هذه الملاحظات، وبناء على ما طرحناه في الفصل النظريّ، نرى أنّ المعجم قد جانب الصواب في تفرقته بين (ثلاثة- 03) مصطلحات داخل الحقل الدلاليّ لمفهوم "تداوليّة"، بل الأجدر والأحق هو أن يميّز بين مفهومين فقط هما: "الذرائعية" باعتبارها خلفية فلسفية للمفهوم الثانيّ، وهو "التداوليّة" ذات البعد الغويّ/ الأدبيّ بشكل أكبر، أما مصطلح "براغماتيّة" فما هو في الحقيقة إلا مرادف عربيّ لمصطلح "التداوليّة" أو خطأ أنجبته الفوضى المصطلحية العربية[♠].

وتبعا لذلك نرى أنّ الأصلح معجميّا ومصطلحيّا أن يكون هناك مدخل واحد في المعجم يجمع التعريفين المقدميْن في تعريف واحد، وليكن هذا المدخل بعنوان "تداوليّة" ويمكن أن نضع مدخلا آخر في المعجم بعنوان "براغماتيّة" لكن لا يُقدَم له أي تعريف بل يُحال فيه القارئ مباشرة إلى المدخل "تداوليّة"، أما طريقة المؤلف في وضع مدخلين، فقد تؤدي إلى الإبهام بحيث سيعتقد القارئ أنّه إزاء مفهومين والأمر ليس كذلك.

2.3: عرض حد التداولية في المعجم: خصص صاحب المعجم لمدخل "التداوليّة" - كما أشرنا- تعريفا طويلا نوعا ما مما يجعلنا نحاول معرفة هذا المحتوى وكيفية عرضه.

1.2.3: التسلسل المنطقي: كان عرض صاحب هذا المعجم لحد "التداوليّة" عرضا منطقيّا متسلسلا حيث بدأ بتحديد الميدان الذي تنتمي إليه "التداوليّة"، ثم قدم لنا تعريفه الخاص لمفهوم "التداوليّة" وميزها عما هو موجود من توجهات لغويّة، كما حدد في فترة أخرى اهتمامات "التداوليّة"، وأخيرا خاض في الجذور الفكرية "للتداوليّة" مركزا على بيرس وجدلية اللفظ والمعنى التي ناقشها مع باركلي، وإن كنا نرى أنّ ذكر هذه الجذور قبل الاهتمامات أو قبل التعريف؛ أي بعد الميدان، أولى من ذكرها في آخر المقال التعريفيّ.

2.2.3: الميدان*: ذكر صاحب المعجم أنّ التداوليّة جزء من السميائيّة وهذا فيه جانب من الصحة باعتبار أنّ أولى وأصول التنظير أتت على يد كبار السميائيين من أمثال بيرس... لكن الحال ليس على هذا فقط، بل أخذت التداوليّة من علوم أخرى كثيرة، لذلك نفضل تصنيفها في إطار العلوم اللغويّة والأدبيّة أحسن من اختزالها في السميائية فقط لأنّها ليست كذلك.

3.2.3: الشموليّة♦: إذا كان عرض المعجم متسلسلا نوعا ما، فإنّه لم يوفق من حيث حصر المعلومات أو السمات التميزيّة المتعلقة بمفهوم "التداوليّة" فقد شابته عدة اختلالات أهمها:

1- يمكن تقسيم حد "التداوليّة" الموجود في المعجم إلى جزأين مهمين: الأول فيه تعريف ل"لتداوليّة"، والثانيّ فيه جانب تاريخيّ متعلق بجذورها، ولكن الملاحظ أنّ المؤلف في تعريفه اعتمد على استشهاد واحد كأنّما ذلك التعريف متفق عليه، في حين أنّ الواقع ليس كذلك، فكان الأجدر به أن يقدم على الأقل تعريفين* للتدليل على صعوبة إيجاد تعريف جامع أو على الأقل الإشارة إلى ذلك بصريح العبارة، وهو ما لم يقم به.

2- خصص صاحب المعجم النصف الثانيّ من التعريف للحديث عن "بيرس" رغم أنّ هذا السميائيّ لا يمثل إلا حلقة من الحلقات التي مهدت لظهور التداوليّة، كما أنّ ما اقترحه صاحب المعجم في حديثه عن بيرس لا يفيد بشكل كبير في معرفة معنى "التداوليّة" لأنّ الكلام قد استغرق في الحديث عن اللفظ والمعنى فقط.

3- نلاحظ أنّ التعريف الذي قدمه المعجم قد ضرب صفحا عن ذكر التيارات المعروفة بتبعيتها للتداوليّة كمدرسة التلفظ، مدرسة أفعال الكلام... وهذا ما جعل التعريف لا يشير إلى عدد كبير من أعلام التداوليّة كسورل وأوستين وإميل بنفينست...♣.

ويبدو لنا، من خلال ما سبق، أن السمات التميزيّة التي قدمها المعجم لمصطلح "التداوليّة" غير كافية تبعدنا شيئا عن "التداوليّة" وتقربنا شيئا من السميائيّة، وهذا إنّما يعود إلى نقص في شموليّة الطرح رغم أنّ الحجم المخصص لتعريف هذا المدخل كان كبيرا.

3.3: قراءة مقارنة: محاولة منا للتدقيق في مصطلح "التداوليّة" ومعناه في الأبجديات المعجميّة، حاولنا أن نعرج على ما يقدمه الأوربيون - وهم أهل هذا التخصص- ، وكان هدفنا من خلال ذلك مقارنة حدهم مع حد المعجم الذي ندرسه، وقد أخذنا معجم "Dictionnaire d'analyse du discours" لباتريك شارودو- Charaudeau Patrick وآخرين♦ كنموذج في بحثنا، فوجدنا أنّه لم يخصص لمفهوم "التداوليّة" إلا مدخلا واحدا هو "Pragmatique" أدمج فيه كلّ المعلومات المتعلقة بالمفهوم، وعرض تعريفه الموسوعيّ –الذي لا يختلف من حيث الحجم مع تعريف "تداوليّة" في المعجم الذي ندرسه- كالتالي:

يميز باتريك شارودو في تعريفه لمدخل "التداوليّة- Pragmatique" بين أربع زوايا للنظر، وهي على التوالي:

1- **"التداوليّة" كمكون من مكونات اللغة:** وهذا الطرح كان طرح شارل موريس الذي يميّز في اللغة بين المكون التركيبيّ والمكون الدلاليّ والمكون التداوليّ الذي تهتم به التداولية، ويقصد شارل موريس بالتداوليّة الاهتمام بالأدلة في علاقتها بمستعملها واستعمالها وأثارها.

2- **"التداوليّة" كتخصص:** يرى صاحب المعجم أنّ "التداوليّة" كتخصص تعني دراسة اللغة في الاستعمال، وهذا يعني أيضا أنّها المقابل/المعارض الفعليّ لدراسة نظام اللغة كما تصوره سوسير، ونشأت هذه النظرة في أعقاب أعمال الفيلسوف أوستين على أفعال الكلام وأعمال قرايس على متضمنات القول.

3- **"التداوليّة" كتيار لدراسة الخطاب:** من هذه الزاوية، تهتم التداوليّة بقدرات الاستنباط التي يمتلكها المتكلمون، وتحاول استكشافها من خلال دراسة المعارف المشتركة بين المتكلمين، ويمكن وضع أعمال و(لسن- Wilson) و(سبربر- Sperber) في هذا الإطار.

4- **"التداولية" كتصور للغة:** لا تظهر التداوليّة كتخصص عند أصحاب هذا التوجه بل كوصف لعدد كبير من الأعمال المتشعبة حول اللغة والتواصل فتشير إلى تقاطع مجموعة من التيارات التي تتقاسم مجموعة من الأفكار الأساسيّة كالسميائيّة ونظريّة أفعال الكلام ودراسة الاستنباطات (inférence) والأبحاث حول التلفظ اللغويّ والحجاج والتفاعل اللغويّ ونظريات التواصل.

إنّ أيّة مقارنة ستُبين أنّ هناك بونا شاسعا بين ما طرحه معجم شارودو وما طرحه معجم نعمان بوقرة، فعدد الأعلام الذين ذكرهم شارودو يفوق بكثير ما ذكره بوقرة –رغم تقارب حجم التعريف في المعجمين- ، ونعلم أنّ ذكر الأعلام يحيل إلى الأعمال، وتعددها يوجه الباحث نحو قراءات معيّنة وفهم معيّن للتعريف، وهذا التعدد ليس يمس فقط الأعمال بل حتى زوايا النظر التي ذكرناها والتي تحيل القارئ أيضا إلى تشعب المفهوم ووجوب الانتباه إلى الاختلافات الموجودة في فهمه، غير أنّنا لا نحس بهذا التعدد في تعريف معجم نعمان بوقرة.

ونلاحظ على مستوى أعمق أنّ معجم شارودو يقدم تعريفات متعددة وآراء كثيرة من زاوية نظر واحدة، إضافة إلى ذلك يضيف لنا معلومات لغويّة عن استعمال مصطلح التداوليّة كصفة ثم كاسم... لكن لم نجد شيئا من هذا القبيل في معجم بوقرة رغم أنّ الحديث عن الجانب اللغويّ مثلا لمصطلح "تداوليّة" مهم في اللغة العربيّة، كما أنّ معجم شارودو من جانب الشموليّة حصر الكثير من الآراء في الكثير من التيارات ذات العلاقة ب"التداوليّة" عكس معجم بوقرة

الذي خص نصف تعريفه تقريبا لبيرس، وفي مسألة ليست بالأهميّة التي تستدعي تخصيص ذلك الحجم...

خاتمة: وقفنا في هذا العمل على عملية انتقال مفهوم التداوليّة من الدراسات الغربيّة إلى الدراسات العربيّة، وركزنا على الفهم المعجميّ لدلالة هذا المفهوم، وقد لاحظنا ما شاب نظرة المعجم الذي درسناه من قصور في طرحه لمعنى مصطلح التداوليّة على القارئ العربيّ، مما يستدعي من صاحبه إعادة النظر في ما قدمه من مادة بما يتوافق مع المفهوم الحقيقيّ لمصطلح "التداوليّة" وهذا حفاظا على وضوح النظرة إزاء هذا المفهوم الذي شاع في الدراسات العربيّة في الآونة الأخيرة؛ لما يقدمه من نماذج نظريّة صالحة للتطبيق على معظم أنواع الخطابات اللغويّة.

ملحق:

براغماتية: تعنى البراغماتية بخصائص استعمال اللغة أي الدوافع النفسية للمتكلمين، وردود أفعال المستقبلين والنماذج الاجتماعية للخطاب وموضوعه.. وذلك بمراعاة الخصائص التركيبية الدلالية، ثم تحولت فيما بعد مع "ج.ل أو ستي"* إلى دراسة أفعال اللغة، إلى أن امتدت واتسعت لتشمل نماذج الاستعمال والتلفظ وشروط الصحة والتحليل الحواري.

ذرائعية: هي نظرية تهتم بالفائدة العلمية للفكرة كمعيار لصدقها، وهي مدرسة فلسفية معروفة، فهي تلح على المكون العملي والفاعل للإنسان بقصد بلوغ المعرفة، والمعرفة أداة عمل والعمل بدوره يصبح غاية المعرفة، وقد انتقد "كلوس" هذا التصور الذي يؤسس مبادئ الحقيقة والأخلاق على مصالح الفرد والزمرة الاجتماعية ويرخص تطبيقه في الحياة العملية وتسخيره المفرط من قبل الامبريالية الأمريكية.

تداولية: التداولية جزء من السميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات، فهي تعنى بدراسة استعمال اللغة في الخطاب، شاهدة

في ذلك على مقدرتها الخطابية، فهي إذن تهتم بالمعنى كالدلالية وبعض الأشكال اللسانية التي لا يتحدد معناها إلا من خلال استعمالها، وعرفها فرانسيس جاك بقوله: تتطرق التداولية إلى اللغة في أبعادها الخطابية والتواصلية والاجتماعية معا"، ول التداولية اتجاه جديد في دراسة اللغة يشارك في تنمية البحث فيه دارسون تجاوزوا بعض المفاهيم اللغوية التي سادت في الفترة الواقعة بين دروس سوسير وكتابات تشومسكي، ذلك أنهم انكبوا على دراسة الأشكال الدلالية، لا الدالة، واهتموا بالمقام اللغوي، وأصبحوا ينظرون في القول ويتساءلون عن علاقة اللغة بالكلام، وجدوى التفريق بينهما، وتصنف التداولية داخل نظام علامي عام، له جذوره في مشروع بيرس وبعض اللغويين من أمثال، شارل موريس، وكارناب، ووليام جيمس، ولم تظهر البراغماتية إلى النور حتى سنة 1878 حين كتب بيرس مقاله المشهور "كيف نجعل أفكارنا واضحة؟" والذي يعتبر امتدادا لمقال "تثبيت المعتقد" سنة 1877، فقد اعترض على رأي باركلي القائل بأن الطريقة الوحيدة لتقرير طبيعة المعنى المتميز لأي لفظ هي أن نسأل: هل نستطيع تعين أية فكرة عقلية تتطابق معه؟ قد رأى باركلي أنه إذا لم يكن في مقدورنا ذلك فإن الحد أو اللفظ لا معنى له مهما كانت الفائدة التي تترتب عليه، وفي مقابل ذلك تمسك بيرس بأن أي حد أو لفظ مجرد لا معنى له إذا لم يكن في مقدورنا استخدامه، أو أن نقوم بفعل شيء بموجبه بطريقة ملائمة ومتميزة، ثم بعد هذا بعامين أضاف أن معنى أية فكرة يكمن –بالنهاية- في تأثيرها على أفعالنا، أو أن البراغماتية عنده تجعل التفكير في علاقة بالفعل لكنها تستبعد أن تكون مجموعة الأفعال المترتبة على اعتقادنا بالشيء، هي معنى ذلك الشيء.

الهوامش:

1- نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب (دراسة معجمية)، ط 01، عمان الأردن، عالم الكتب الحديث/ جدارا للكتاب العالمي، 2009م، ص 03.

2- نفسه، ص 05.

*- سنجمع في هذه النقطة كلّ الأقسام الأخرى من المعجم.

♣- استعملنا فقط لأنّ الكاتب في عمله هذا قدم لنا مقابلات باللغة الانجليزيّة في مسرد سنتحدث عنه لاحقا، لكن في متن المعجم لا تظهر أية لغة أخرى غير العربيّة.

♦- علما أنّ الورقة في هذا المعجم مقسمة طوليا إلى جزأين.

3- يُنظر في أنواع التعاريف:

- Alise Lehmann/ Française Martin-Bertthet: introduction à la lexicologie, p 17.

*- أربعة 04 كتب منها معجم متخصص في اللسانيات والصوتيات.

4- الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر. محمد يحياتن، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1992م، ص 43.

5- T.A. Van Djik، la pragmatique، في الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية ص 43.

*- نشير ههنا إلى أنّنا نورد هذه المفاهيم على سبيل المثال لغرض تقديم المقاربة التداوليّة وليس الحصر، فهناك عدد كبير من المفاهيم المندرجة تحت طائلة هذه المقاربة، ونحن بصدد تقديم أشهرها فقط.

6 - Dominique Maingueneau, analyser les texte de communication, Paris, Dunod, 1998, p 20.

7- الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر. محمد يحياتن، ص 31.

8- Charaudeau Patrick, Dominique Maingueneau, Dictionnaire d'analyse du discours, Paris, ed. du Seuil, 2002, p 335.

*- نشير ههنا إلى أننا نقابل مصطلح "السياق" بمصطلح "الوضعيّة الخطابيّة" فقط لأنّه المصطلح اللغويّ التداوليّ الوحيد الموجود في إطار النظريّة التداوليّة، بيد أنّه إذا خرجنا من النسق المنهجيّ والعلميّ التداوليّ، سنجد مصطلحا/مفهوما عربيّا مثل المقام مصطلحا مشابها لمفهوم "الوضعيّة الخطابيّة".

*- للاطلاع على التعاريف الكاملة المقدمة لهذه المداخل، يُنظر إلى ملحق هذا المقال.

♣- لابد من الإشارة ههنا إلى أنّ علم المصطلح يبحث في المفاهيم قبل أن يبحث في الألفاظ عكس المعجميّة التي تهتم بالألفاظ أو الكلمات العامة، لذلك نحن نتساءل هنا عن وجود ثلاثة مفاهيم وليس مصطلحات.

♦- يُنظر دائما إلى ملحق هذا المقال حيث أوردنا التعاريف الثلاثة كاملة.

*- نلاحظ في المسرد أنّ صاحب المعجم أضاف مصطلح "تفعية" كمرادف لمصطلح "ذرائعيّة" دون الإشارة إلى ذلك في المتن سواء في المدخل "ذرائعية" أو في حرف النون.

♣- حاولنا أثناء قراءتنا للمسرد التحقق من طرحنا بالعودة إلى المصطلحات المركبة من كلمتين فوجدنا مصطلح "Pragmatic meaning" قد ترجمه بمصطلح "معنى تداولي"، ولكن لم نعثر على أي مصطلح مركب آخر لكي يساعدنا على التعمق في تحليلنا.

♦- ترجمها المعجم بمصطلح "شروط الصحة".

♠- تعود المشكلة حسب ما يبدو لنا إلى اعتماد طريقة التعريب عند الجناح الأول الذي ترجم المصطلح الفرنسي بمصطلح "براغماتية"، واعتماد طريقة البحث في التراث بالنسبة للجناح الثاني.

*- فيما يخص ذكر الميدان كأول خطوة في تعريف المصطلحات، فهذا أمر ناجح لأنّ التعاريف المنطقيّة المصطلحيّة تبدأ بهذا الجزء من التعريف لما له من وظيفة توجيهية للقراء، يُنظر في ذلك:

Bruno de Bessé :" la définition terminologique", in acte du colloque international « la Définition » organisé par le centre du lexique, paris13, Larousse, 1990.

♦- لابد من الإشارة إلى أنّ الشموليّة المطلقة غير واردة في أي تعريف، لكن يمكن أن نميز بين التعريف الذي أثار جملة المسائل المتعلقة بالمفهوم أو لا، خاصة، في مثل هذه التعاريف الطويلة التي يُفترض فيها أن مشكلة الحجم غير مطروحة (لاحظ أنّ هذا التعريف يقع في حدود الورقة).

*- قدم صاحب المعجم في بداية التعريف بعض التعاريف لكن لم ينسبها إلى باحثين بعينهم، ولم تكن تعاريف كاملة بل جمع من هنا وهناك لبعض من المعلومات.

♣- رغم ذكرهم في تعاريف أخرى مما يدل على إدراكه لعلاقتهم بهذه المقاربة، فقد أشار إلى أوستين في تعريفه لمصطلح "براغماتية" الذي ذكرناه سابقا.

♦- صدر هذا المعجم سنة 2002 مما يعني أنّه قد نُشر قبل نشر المعجم الذي ندرسه بسبع 07 سنوات ورغم ذلك لم يُستفد منه.

*- دوّن اسم "أوستين" بهذه الطريقة وهذا خطأ مطبعي.